

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة المستنصرية

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

الاحتجاج النحويُّ عند أبي إسحاق الشاطبيِّ (ت ٧٩٠ هـ)

في ((المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية))

أطروحة تقدّم بها

أوراس عبد الحسين عبد الله الحمداني

إلى مجلس كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه

في فلسفة اللغة العربية وآدابها / لغة

بإشراف

الأستاذ الدكتور

صاحب جعفر أوجناح

تمّوز ٢٠١١ م

بغداد

شعبان ١٤٣٢ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى رَسُولِهِ الْمُرْسَلِ بِأَكْمَلِ الْأَدْيَانِ ، وَالْمَبْعُوثِ بِإِعْلَانِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ ، وَعَلَى آلِهِ الْمُطَهَّرِينَ مِنَ الرَّجْسِ ، وَالْمُبْرَتِينَ بِالنَّفْسِ ، وَصَحْبِهِ أَهْلَ الْحَقِّ الْمُشْتَغَلِينَ بِالْقُرْآنِ ، وَالْمُتَّصِفِينَ بِالْأَخْلَاقِ الْحَسَنِ .

أَمَّا بَعْدُ فَلَا مِرَاءَ فِي أَنَّ عِلْمَ الْأُصُولِ مِنَ الْعُلُومِ الْجَلِيلَةِ الْقَدْرِ ، إِذْ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ مَا لِهَذَا الْعِلْمِ مِنْ شَأْوٍ بَالِغِ الْأَثَرِ ، وَبِخَاصَّةٍ لِمَنْ تَأَهَّلَ لِلاجْتِهَادِ وَالنَّظَرِ ، وَاهْتَمَّ بِمَسَائِلِ الْخِلَافِ الْمُعْتَبَرِ .

فَقَدْ كَانَ هَذَا الْعِلْمُ كَفِيلاً بِالنَّظَرِ فِي الْأَدَلَّةِ وَإِظْهَارِهَا ، وَاسْتِتْبَاطِ الْأَحْكَامِ مِنْهَا وَتَقْرِيرِهَا ، فَهُوَ دَعَامَةٌ أُسَاسِيَّةٌ لِدِرَاسَةِ الْمَذَاهِبِ الْمُغَايِرَةِ ، وَالْأَرَآءِ الْمُتَنَافِرَةِ ، وَلِلْمَوَازِنَةِ فِيمَا بَيْنَهَا ، وَالِاحْتِكَامِ إِلَى بَعْضِهَا وَصِيَاحَةِ الْقَوَاعِدِ وَالْقَوَانِينِ عَلَى وَفْقِهَا . لِهَذَا بَحَثَ الْعُلَمَاءُ فِي كُلِّ دَلِيلٍ مِنْ هَذِهِ الْأَدَلَّةِ عَلَى اخْتِلَافِ مَنَاجِمِهَا ، وَتَعَدُّدِ طَرَائِقِهَا ، وَتَنَوُّعِ عَقَائِدِهِمْ ، بَدْءاً مِنْ حُجَّتَيْهَا ، وَمَروراً بِشُرُوطِ الِاسْتِدْلَالِ بِهَا ، وَانْتِهَاءً بِكَيْفِيَّةِ إِيرَادِهَا ، لِلِإِفَادَةِ مِنْهَا فِي تَوْثِيقِ الْقَوَاعِدِ النَّحْوِيَّةِ ، وَاسْتِمْدَادِ الْأَحْكَامِ وَالظُّوَاهِرِ اللَّغْوِيَّةِ ، تِلْكَ الْأَدَلَّةُ مُسْتَخْلَصَةٌ مِنْ اسْتِقْرَاءِ الْمَسَائِلِ وَالْجَزْئِيَّاتِ ، وَالْأَرَآءِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِمَا اسْتُدِلَّ بِهِ مِنَ الْكُلِّيَّاتِ .

وَالْإِمَامُ أَبُو إِسْحَاقَ الشَّاطِبِيُّ أَحَدُ قَادَةِ الْفِكْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ ، الَّذِينَ بَلَّغُوا ذُرْوَةَ الْمَجْدِ الْعِلْمِيِّ وَالنُّبُوغِ الْفِكْرِيِّ ، فِي الْقَرْنِ الثَّامِنِ الْهَجْرِيِّ ، وَقَدْ جَمَعَ مِنَ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ وَالنَّفْثِيَّةِ مَا يُؤَهِّلُهُ لِلتَّصَدُّرِ ، وَمِنَ الْوَرَعِ وَالنَّقْوَى مَا يَدْعُو إِلَى النَّفْكَرِ ، إِذْ أُشْرِبَ قَلْبَهُ حُبَّ الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ ، وَمُلِنَتْ نَفْسَهُ بِفَيْضٍ مِنْ مِيرَاثِ الْأَنْبِيَاءِ ، فَأُضْحَى لَا يَرَى السَّعَادَةَ فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ ، وَبَاتَ لَا يَأْلُو جُهْداً فِي الدَّفَاعِ عَنِ الشَّرْعِ ضِدَّ ذَوِي الزُّورِ وَالْبُهْتَانِ ، حَتَّى لَمَعَ فِي سَمَاءِ الْحَقِّ فَرْقَدُهُ ، وَذَاعَ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالنَّقْوَى مَحْمَدُهُ .

وكتابه ((المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية)) شرح مستفيض لمتن الألفية ، وتأليف نفيس في المسالك النحوية ، وقد قرع صيئته الأسماع ، وجاب ذكروه الأصقاع ، لما عني فيه مؤلفه من ذكر المسائل الكلية ، والقواعد النحوية الجزئية ، المبنية على أشهر آراء ذوي العلم ، وأعم أقوال أولي الفهم ، فكان بحق من عوالي كتب النحو ، ونفائس أسفار هذا الحدو ، إذ حاول الشاطبي فيه بناء نظرية لأصول النحو العربي ، ورسم قوانين الجدل النحوي ، مستغلاً من صوب مظاهر الخلاف الجم ، ومن صوب آخر مظاهر النظر في النظم ، ذلك النظر الذي يتوَكأ على تدبر النص المشروح ، وإيراد الاعتراضات الافتراضية عليه في الظاهر المطروح ، فكانت له بذلك محاولة بناء تلك النظرية النحوية ، المنتصبة على دعائمها الفكرية .

ولعلي لا أشتط بالقول إن قلت إن الشاطبي بهذا الشرح المعرفي ، قد نقل المفهوم التعليمي للنظم إلى المفهوم العلمي ، الذي تتدرج فيه كل القواعد والجزئيات المنوطة بقضايا النحو العربي ، ومسائل الخلاف العلمي ، والجدل النحوي ، فلا يكتفي بغير الأدلة ومبادئها ، من دون غاياتها ومناهجها ، بل التزم بما يقضيه عليه منهجه في دقته ، من اتباع كلام ابن مالك في أقيته ، مستعيناً بمنوال أهل النظر في إيراد الاعتراضات الافتراضية ، وتمحيصها بشواهد الأصول الجلية .

ولما رأى أستاذي الثبث الدكتور صاحب جعفر أبو جناح ، أن كتاب ((المقاصد الشافية)) انطوى على بحث أصولي متاح ، أوعز إلي أن أقف على الاحتجاج النحوي فيه بالافتراء ، ووصل يدي بمؤتمسه من عشرة الأجزاء ، حتى أمكنته من بعيتي بالافتناء .

فشرعت بالعمل على منهج اقتضى في التحصيل والبيان ، أن يستقيم في مقدمة ، وتمهيد ، وفصلين ، وخاتمة ، تفقوها جريدة المظان :

فأمّا المقدمة : فهي التي أسلفت فيها القول عن الموضوع ومناله الجزيل ، وما زلت أشرع فيها بإيراد المنهج المنتظم في التحصيل .

وأما التمهيد : فشطرتُهُ على قسمين ، بحسب المبحوث فيه بالتعيين ، فالقسم الأول منه أفردته للتعريف بالشاطبي ، ويتجلى باسمه ، وسيرته ، ومولده ووفاته ، وشيوخه ، وتلاميذه ، وآثاره عبر تكوينه المعرفي . والقسم الثاني عكفت فيه

على محاولة التّأصيل العِلْمِيّ ، لمفاهيم الاحتجاج والتّعليل والتّأويل في البحث النّحويّ ، وتبيان إفادة الشّاطبيّ منها في تأليفه المقاصديّ .

وأما الفصل الأوّل : فَخَصَصْتُهُ بِالاحتجاج النّفليّ ، وَعَنَوْنْتُهُ بِعنوانه الجليّ ، وَقَسَمْتُهُ عَلَى خَمسة مباحث بحسب أقسام السّماع العربيّ ، وهي على النّحو الآتي :

المبحث الأوّل : القرآن الكريم : عُنِيَتْ فِيهِ بِتبيان مفهومه وأهمّيّته ، ودأب العلماء على الإفادة منه في الاستدلال به ، ومكانته عند الشّاطبيّ في توثيق القواعد وتقرير الأحكام ، وموقف الشّاطبيّ من الاحتجاج به في منهجه العامّ .

المبحث الثّاني : القراءات القرآنيّة : حَقَلْتُ فِيهِ بِإبراز مفهومها وضابطها وأقسامها ، وَمَنْهَجِ القُرَاء والنُّحاة فِي النّظر إليها والاستدلال بها ، وموقف الشّاطبيّ من الاحتجاج بها ، وموقفه من تخطئها وقراءتها .

المبحث الثّالث : الحديث النبويّ الشريف : اهْتَمَمْتُ لَهُ بِإثبات مفهومه العِلْمِيّ ، والخلاف بين النُّحاة فِي حُجِّيّته فِي التّقييد النّحويّ ، وموقف الشّاطبيّ من الاحتجاج به ، وموقفه من احتجاج ابن مالك به فِي كُتُبِهِ .

المبحث الرّابع : الشّعْر : عَمَدْتُ فِيهِ إِلَى كَشْفِ مفهومه ، وضابطه ، وطبقات شعرائه ، ونِسْبَةِ الشّواهد الشّعريّة عند الشّاطبيّ ، وموقفه من اختلاف الرّواية فِي بيت الشّاهد الشّعريّ ، ومفهوم الضّرورة الشّعريّة عنده بالمعنى العِلْمِيّ ، وموقفه من ابن مالك فِي مفهومها الجليّ ، وقاعدتها القائمة على التّعليل النّحويّ .

المبحث الخامس : النّثر من كلام العرب : فَصَدْتُ فِيهِ إِلَى إِجلاء مفهومه ، وفُنُونِهِ الْمُنْضَمّة فِي عُمُومِهِ ، وصُورِهِ الواردة عند النُّحاة القدماء ، بما أُثِرَ عن العرب الفصحاء ، وموقف الشّاطبيّ من الاحتجاج به ، وصُورِ المسموع الأخرى المحمولة عليه ، كالأمثال وما جَرَى مُجْزَاهَا ، ولُغَاتِ العَرَبِ وَلَهْجَاتِهَا ، ومراعاة الفواصل فِي النّثر ، وتفريق الشّاطبيّ بين لغة النّثر ولغة الشّعْر .

وأما الفصل الثّاني : فَكَرَسْتُهُ لِلاحتجاج العقليّ ، وَعَنَوْنْتُهُ بِعنوانه الجليّ ، وَوَرَعْتُهُ عَلَى سبعة مباحث بحسب أصول الجدَل النّحويّ ، وهي على النّحو الآتي :

المبحث الأول : القياس : بآيتُ به بتدليلِ حَدِّه اللُّغويِّ والاصطلاحِيّ ،
وَحُجْبِيَّتهِ عند الشَّاطِبيِّ ، وَرُكْنِيَّتهِ في البحثِ النَّحويِّ ، وأنواعِ المقيسِ عليه الجليَّة ،
القليل والشَّاذُّ وما حَمَلَهُ النُّحاةُ على الضَّرورةِ الشُّعريَّة ، ومَوْقِفِ الشَّاطِبيِّ من هذه
الأنواعِ الأصليَّة ، وأقسامِ القياسِ باعتبارِ العِلَّةِ الجامعة ، ومَوْقِفِ الشَّاطِبيِّ من هذه
الأقسامِ ومقيسِ لُغَةِ العَرَبِ الشَّائِعَةِ .

المبحث الثاني : الإجماع : أَكْثَرَتْ لَهُ بِنَشْرِ حَدِّه اللُّغويِّ والاصطلاحِيّ ،
ومفهومِهِ وَحُجْبِيَّتهِ عند الشَّاطِبيِّ ، وإمكانِ وقوعِهِ في البحثِ النَّحويِّ ، والاختلافِ في
إحداثِهِ قولاً ثالثاً في المسألةِ الْمُخْتَلَفِ فيها على قولين عند الجمهورِ
الأصُولِيِّ ، والإجماعِ المنقولِ بالآحاد ، ومَوْقِفِ الشَّاطِبيِّ منه ومن الإحداثِ
بالاجتهاد .

المبحث الثالث : الاستصحاب : رَمَيْتُ فِيهِ إِلَى إِيضاحِ مفهومِهِ العِلْمِيِّ ،
وَضَعْفِهِ فِي الاحتجاجِ النَّحويِّ ، وَحُجْبِيَّتهِ عند الشَّاطِبيِّ ، ومظاهرِ استدلالِ
الشَّاطِبيِّ بِهِ فِي مَوْقِفِهِ المقاصديِّ .

المبحث الرابع : السَّبْرُ والنَّفْسِيمُ : مَضَيْتُ فِيهِ إِلَى إِظهارِ حَدِّه اللُّغويِّ
والاصطلاحِيّ ، وَحُجْبِيَّتهِ عند الشَّاطِبيِّ ، وأنماطِ استدلالِ الشَّاطِبيِّ بِهِ فِي عمليَّةِ
الاحتجاجِ النَّحويِّ ، وأقسامِهِ المنوطةِ بالضَّبْطِ الاحتماليِّ .

المبحث الخامس : الاستحسان : سَعَيْتُ فِيهِ إِلَى إبانَةِ حَدِّه اللُّغويِّ
والاصطلاحِيّ ، واختلافِ النُّحاةِ فِي الأخذِ بِهِ والتَّعوِيلِ عَلَيْهِ فِي المجالِ التَّطبيقيِّ ،
وَحُجْبِيَّتهِ عند الشَّاطِبيِّ ، وأشكالِ استدلالِ الشَّاطِبيِّ بِهِ بِالوَسْمِ التَّوجيهِِيِّ .

المبحث السادس : التَّعاضِدُ والتَّعارضُ والتَّرجيحُ : جَنَحْتُ فِيهِ لِتَبَدُّيِ
الْحَدِّ اللُّغويِّ والاصطلاحِيِّ لِهذِهِ الطَّوَاهِرِ النَّحويَّةِ ، وإيرادِ الأضْرِبِ التَّعاضِديَّةِ ،
والأوجهِ التَّعارضِيَّةِ ، والطَّرَائِقِ التَّرجيحيَّةِ ، الوارِدَةِ عند الشَّاطِبيِّ فِي مباحثِهِ
المقاصِديَّةِ ، ومَوْقِفِهِ مِنْهَا واحتكامِهِ إِلَيْهَا فِي العمليَّةِ الاستدلاليَّةِ .

المبحث السابع : الحُجْجُ العَقليَّةُ الفرعيَّةُ : جَزَّأْتُهُ إِلَى سَنَّةِ مُطالبِ فرعيَّةِ ،
بحسبِ أوجهِ الاستدلالِ المُلْحَقَةِ بِالقياسِ فِي المصنَّفاتِ النَّحويَّةِ ، وما احتجَّ الشَّاطِبيُّ
مِنْهَا فِي مباحثِهِ المقاصِديَّةِ ، فَاتَّسَقَتْ عَلَى النَّحْوِ الآتِي : الاحتجاجِ بالعكسِ ،

وبالأصول ، وبالأولى ، وبالتظير وعدمه ، وبالاستقراء ، وبالباقي ، ووضحت موقف الشاطبي منها في عملية الاستدلال ، وإفادته منها في أسلوب النقاش والجدال .
وأما الخاتمة فأدرجت فيها مآل البحث بالاجتراء ، وما كابدته مع الشاطبي في رحلة وبيلة العناء .

وفي الختام فإن من كنت طليق بره ، فلتكن أسير شكره ، وإن قصرت يدك عن الجزاء ، فليطل لسانك بالثناء .

فالحمد أولاً لله سبحانه وتعالى كما ينبغي لجلال وجهه ، وعظيم سلطانه ، ثم إليك أستاذي النبيل ، الدكتور صاحب جعفر أبو جناح الجليل ، أوسق مندوحة الإطراء ، ومعسول الثناء ، على سابغ نعمائك ، وفيض آلائك ، إذ مننت بالموضوع على نفسي ، ووصلت الكتاب بملتيمي ، واستضأت علي بمشكاة العرفان ، وأحكمت سبكي بميسم البيان ، فجزاك الله عنّي خير الجزاء ، وأغدق عليك شأبيب العطاء .

وثم درايه وفيرة ، وخبرة غزيرة ، جليت لها لي والدي الحميم ، الدكتور عبد الحسين عبد الله الكريم ، إذ لا يضطلع بأعبائك إطراءً ، ولا يقوم بحقك ثناءً ، فهذا البحث من فتون إحسانك ، وبديع عرفانك ، والله أسأل أن يطيل بك البقاء ، ويثيبك الأجر والجزاء .

وأقضي حق الشكر إلى أساتذة شعبة اللغة العربية ، في كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، فرع أكادال - الرباط / جامعة محمد الخامس في المملكة المغربية ، ولاسيما الأفاضل ، الدكتور محمد الطريف ، والدكتور محمد بلبول ، والدكتور محمد حجّو الجلائل ، على حسن احتفائهم ، وبإلغ إنشائهم ، فلم ينضح أديم ثنائي ، ويبدّي رحم وفائي .

وأودّي مقررّ الشكر والإجلال ، إلى الأستاذ الدكتور أحمد شوقي بنبين المفضال ، مدير الخزانة الحسنية ، في القصر الملكي للمملكة المغربية ، وإلى الأساتذة الإضافيين ، والإخوة المهنيين ، في الخزانة الحسنية ، والخزانة العامة في المملكة المغربية ، على غزير فائدتهم ، وموفور عائدتهم ، حتى ينزف برهم بمدحي ، ويبدع قصدهم بوصفي .

وَأَرْطَبُ لِسَانِي بِالشُّكْرِ المَوْصُولِ بِالاحْتِرَامِ ، لِرئيسِ لَجنةِ المَناقِشةِ وَأَعضائها
دِ صَنيعِهِم حُلَّ التَّاءِ ، وَأَنوِطُ قلائدَ فَضلِهِم في أَعناقِ